خطبة صلاة الجمعة 16/ 8/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(لماذا هذه السلسلة؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1]، قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، قال المفسرون: معنى قوله: هيئ لنا من أمرنا رشداً: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا».

أيها الإخوة:

هذه سلسلة جديدة من الخطب نفتتحها اليوم مستعينين بالله تعالى عنوانها **(دليل إرشادي)**، تتناول كل خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عدد منّا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنّة، والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **لماذا هذه السلسلة؟**

تأتي سلسلة (دليل إرشادي) لأربعة أسباب:

أولاً: لأن الإسلام يدعونا إلى تقديم النصح والإرشاد لبعضنا، ويدعونا إلى أن نستشير في شؤوننا، أخرج الإمام مسلم عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، وأخرج ابن عساكر بإسناده في تاريخ دمشق: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، ثمّ قال: «**ما بال أقوام لا يُفقِّهون جيرانهم، ولا يُعلِّمونهم ولا يَعظونهم، ولا يَأمرونهم ولا ينهونهم؟! وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتَّعظون ولا يأتمرون، والله ليُعلِّمُنَّ قوم جيرانهم ويُفَقِّهونهم ويَعِظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليَتعلَّمن قومٌ من جيرانهم ويتفقَّهون ويتَّعظون أو لأُعاجِلنَّهم العقوبة**»، ثمّ نزل فدخل بيته، فقال قومٌ: مَنْ تُراه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قومٌ فقهاء، ولهم جيران من الأعراب. فبلغ ذلك الأشعريين، فأتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله، أمهِلنا سنةً. فأمهلهم سنة ليفقِّهوهم ويعلِّموهم ويفطِّنوهم).

فلأن الإسلام يدعونا لطلب المشورة ويدعونا لتقديم النصح لبعضنا ولتعليم الفطنة لغيرنا تأتي هذه السلسلة.

ثانياً: لأن آمال الناس معقودة بالدين، ويرون حَلّ مشكلاتهم لا يكون إلا عن طريق الدين، ومن أجل هذا تجدون الناس يأملون من خطبة الجمعة ومن خطيب الجمعة الكثير الكثير.

وكم من مرة سألني أخٌ عن مشكلة يرجو دليلاً لحلها، وكم من مرة طلب إلي أخ حديثاً عن مشكلة يراها عامة يرجو تقديمها خطبة على المنبر، فتحقيقاً لهذه الرغبات العزيزة، ومساعدةً في حل هذه المشكلات المتكررة جاءت هذه السلسلة.

ثالثاً: لأنني أحمل مشروعين اثنين –كما تعلمون– لمدة خمس عشرة سنة، أحدهما تحكيم الشريعة في علاقاتنا الأسرية، والثاني تحكيم الشريعة في معاملاتنا المالية، وأخطب في كل عام عن أحدهما، ولئن تحدثت خطب العام قبلَ قبلِ الماضي عن (**تربية الأبناء**) وهي سلسلة مرتبطة بتحكيم الشريعة في

علاقاتنا الأسرية، وتحدثت خطب العام قبلَ الماضي عن (**مهنتي فقهها وآدابها**) وهي سلسلة مرتبطة بتحكيم الشريعة في معاملاتنا المالية.

وتحدثت سلسلة العام الماضي عن (**هموم الشباب**) وكانت سلسلة مرتبطة بكلا المشروعين، فإن هذه السلسلة (**دليل إرشادي**) مرتبطة أيضاً بكلا المشروعين؛ لأنها ستتناول أدلة إرشادية لمشكلات تتعلق بالعلاقات الأسرية حيناً، وبالمعاملات المالية حينا آخر.

رابعاً: لأن الأزمة التي نزلت ببلدنا – والتي نرجو الله كشفها بلطفه – أبرزت مشكلات لم يسبق لنا بها عهد فيما مضى، وكشفت عن مشكلات قديمات كانت جمراً مخفياً تحت رماد.

فكانت المساعدةُ بحل كلا النوعين من المشكلات مساعدةً في تعجيل الفرج إذ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

خالد شاب مسرف على نفسه، بسبب حاجته اليومية إلى نفقات إضافية للسهر مع رفاق السوء، امتدت يده إلى صندوق المحل الذي يعمل به وراح يختلس منه كلما سنحت الفرصة مبلغاً ينفقه على ملذاته.

هيأ الله لخالد صاحباً صالحاً دعاه لحضور مجلس علم علق به قلبه وأذن الله له فيه بالتوبة، واظب على حضور المجلس، وصحا إيمانه، ومسح الران عن قلبه، فتيقظ إلى ضرورة رد المال الحرام الذي أخذه سابقاً من صاحب المحل، لكن الأمر مشكل عليه، فهو لا يعرف المبالغ المختلسة هل هي مائة ألف أو مائتان أو أكثر أو أقل، ثم إن أعاد المال لصاحبه فماذا سيقول له، هل سيخبره بالحقيقة؟ ولعل صاحب العمل لا يصدق أن المبلغ هو ما سيدفعه خالد ويطالبه بأكثر، وربما مضى به إلى شرطة التحقيق.

وللفائدة العامة أيها الإخوة:

المال الحرام المكتسب بغير رضا صاحبه كالمال المغصوب أو المسروق أو نحو ذلك لا بد من رده إلى صاحبه أو طلب الصفح منه، فإن صفح وإلا فلا بد من إعادة هذا المال، ولا تبرأ الذمة منه بالصدقة، ولا بإنشاء المشاريع الخيرية طالما أمكن رده لأصحابه، وتكفي في رده الحيلة، كأن يقول الغاصب عند رد المال: (هذا من شخص اعتدى عليكم سابقًا دون تعيين..، أو نحو ذلك).

وها هنا حالات ترد على هذه الصورة أعرضها عليكم على شكل أسئلة:

1. ماذا يفعل من اغتصبَ مال رجلٍ، ثم تاب وأراد رده إليه، ولكن لا تتوفر هذه المبالغ بين يديه الآن؟!.

الجواب: ما دام معسراً لا يستطيع رد تلك الحقوق، وقد تاب وندم فعليه توثيقها، ولو استطاع إعلام أصحابها بما كان منه فذلك متعين عليه، فقد يبرئونه منها ويسامحونه، لكن لو خشي ضرراً بسبب ذلك فيكفيه توثيقُ تلك الديون بما يحفظ حق أصحابها، مع العزم على أدائها متى تيسر له ذلك.

2. ماذا يفعل من اغتصب مال رجلٍ، ثم تاب وأراد رده إليه، ولكن لا يذكر مقدار هذا المال؟.

الجواب: عليه أن يقدر هذا المال بما يغلب على ظنه أنه هو أو أكثر منه.

قال ابن العربي في تفسيره: (وإذا التبس عليه قدر الحلال من الحرام، فإنه يقوم بتقدير ما يرى أنه حرام، ويحتاط في ذلك حتى لا يبقى في نفسه شك، وأن ذمته برئت من الحرام).

3. ماذا يفعل من اغتصب مال رجل، ثم تاب وأراد رده إليه، ولكن لا يمكنه الوصول إلى ذلك الرجل؟.

الجواب: ينفق هذا المال في المصالح العامة، كرصف الطرق، وإنشاء الجسور، وبناء المدارس، ودور الأيتام... ونحو ذلك، أو يُعطيها الفقراء صدقة عن ذاك الرجل، ولكنه إن لقيه يوما أخبره بأمر الصدقة فإن أجازها وإلا رد إليه مثل المال الذي اغتصبه.

4. ماذا يفعل من اغتصب من المال العام؟.

الجواب: يرده إلى الجهة التي أخذ منها، ولو بطرق غير مباشرة، كأن يجري به صيانة لمكنات تابعة لهذه الجهة، فإن لم يمكن ذلك صُرِفَ في المصلحة العامة، أو أعطي للفقراء والمساكين.

5. ماذا يفعل من اغتصب مالاً وعمل به، فَجَرَّ له ربحاً؟.

الجواب: الربح الناشئ عن استثمار مثل هذا النوع من المال، محل اختلاف بين أهل العلم:

- فمنهم من ذهب إلى أنه يكون للعامل استناداً إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الْخَرَاجُ بِالضَّمَانِ**» أخرجه أبو داود والترمذي.
- وذهب البعض إلى أنه تابع للمال، وأنه لا شيء للعامل منه.
- وقول ثالث لعله القول الأعدل أنه يكون بينهما مناصفة؛ لأنه إنما حصل بمال هذا، وعمل هذا، كما فعل عمر بن الخطاب لما أقرض أبو موسى الأشعري ابنيه من مال الفيء مائتي ألف درهم، وخصهما بها دون سائر المسلمين، ورأى عمر بن الخطاب أن ذلك محاباة لهما لا تجوز، وكان المال قد ربح ربحاً كثيراً بلغ به المال ثمانمائة ألف درهم، فأمرهما أن يدفعا المال وربحه لبيت المال، وأنه لا شيء لهما من الربح لكونهما قبضا المال بغير حق، فقال له ابنه عبيد الله: إن هذا لا يحل لك، فإن المال لو

خسر وتلف كان ذلك من ضماننا، فلماذا تجعل علينا الضمان ولا تجعل لنا الربح، فتوقف عمر، فقال له بعض الصحابة: نجعله مضاربة بينهم وبين المسلمين، لهما نصف الربح، وللمسلمين نصف الربح، فعمل عمر بذلك.

عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ –أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ– عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**» قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ، أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ**»، قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**» أخرجه أحمد.

قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**» أخرجه البخاري.

بعد كل هذا –أيها الإخوة– على خالد أن يجتهد برد المال إلى صاحبه فيخرج مبلغاً من ماله يعتقد به أنه أدى ما عليه، وله أن يقدم هذا المبلغ في مناسبة معينة لصاحبه كهدية إن خاف إن أخبره باختلاسه أن يجر ذلك ضرراً أكبر.

أيها الإخوة:

لهذه الأسباب جاءت سلسلة (دليل إرشادي)

أولاً: لأن الإسلام يدعونا إلى تقديم النصح والإرشاد لبعضنا ويدعونا إلى أن نستشير في شؤننا.

ثانياً: لأن آمال الناس معقودة بالدين، ويرون حَلّ مشكلاتهم لا يكون إلا عن طريق الدين.

ثالثاً: لأنني أحمل مشروعين اثنين –كما تعلمون– لمدة خمس عشرة سنة، أحدهما تحكيم الشريعة في علاقاتنا الأسرية، والثاني تحكيم الشريعة في معاملاتنا المالية.

رابعاً: لأن الأزمة التي نزلت ببلدنا – والتي نرجو الله كشفها بلطفه – أبرزت مشكلات لم يسبق لنا بها عهد فيما مضى، وأظهرت مشكلات قديمات كانت جمراً مخفياً تحت رماد.

فكانت المساعدةُ بحل كلا النوعين من المشكلات مساعدةً في تعجيل الفرج إذ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحمد لله رب العالمين